جهاد النفس
أو
الجهاد الاكبر

من توجيهات وارشادات
الامام الخميني
دام ظله

السيد محمد تقي الطباطبائي

الاداب في مطبعة الاداب في النجف الاشرف

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٢٢٢ لسنة ١٩٧٤
٣٠٠٠ - ٦ / ٤ / ١٩٧٤
مطبعة الآداب - النجف الأشرف

شبكة كتب الشيعة
shiabooks.net
mktba.net رابط بديل

جهاد النفس
أو
الجهاد الاكبر

من توجيهات وارشادات
الامام الخميني

دام ظله

السيد محمد تقي الطباطبائي

مطبعة الاداب في النجف الاشرف

بسم الله الرحمن الرحيم

مر عام من عمرنا ، أنتم الشباب الى الشيخوخة ونحن الى الموت ذاهبون ،

في هذه السنة الدراسية لقد علمتم كم درستم وكم بحثتم وكم زادكم الله علماً ، ولكن هل علمتم ماذا عملتم لتهذيب أخلاقكم والتأدب بآداب دينكم؟ هل فكرتم في ذلك ، ودرستم سبيله وتبينتم حدوده ؟ يؤسفني أن أصارحكم : ان خطوتكم في ذلك كانت قصيرة جداً !

افتقار المجامع العلمية الى نيل الفضائل واجتناب الرذائل

مجامعنا العلمية بحاجة الى الأخلاق بمقدار ما هي بحاجة الى العلم ، لابد من اشاعـــة الأخلاق في مجالس الارشاد والتوجيه ، لتدريب الناس على التخلق بالخلق الرفيع ، والتطلع الى المعارف الالهية التي كانت الهدف الأقصى للأنبياء والرسل :

وفي الأصل كانت الغاية في بعثة الأنبياء والرسل تتميم مكارم الأخلاق - على حد تعبير الحديث - وتربية الروح وتنمية العقل وتقوية الارادة ، وتقويم سبيل البشر الى النور والمدنية والتقدم .

وليست الحياة النيرة التي أرادها الأنبياء لأممهم الا صراعاً وجهاداً من أجل تكامل وحياة أفضل يعيش في ظلهـــا انسان ، وليست أكلا ومتعة ولهواً بالأمل . وقتلا للوقت في سفاهة ، في حين يرى الامام الحسين بن علي (ع) الحياة عقيدة وجهاداً في في سبيل الحرية والاستقلال ، واستعادة الحقوق السليبة ، جهاداً ينصر به المستضعفون والمظلومون ، جهاداً يدفع به الظلمة والجائرون جهاداً في سبيل الرفعة والمنعة والعزة والفضيلة والمجد :

يؤسفني جداً أن تكون الجوانب المعنوية والروحية في مراكز

العلم مستمرة في النضوب ، وأخشى أن تعجز مراكزنا العلمية في المستقبل عن تنشئة علماء ذوي خلق رفيع وعلى درجة كبيرة من تهذيب الأخلاق وصفاء النفس والقرب من ذات الله ، وأشفق أن يسد التهالك الشديد على المقدمات وحشود المصطلحات منافذ كل مسائل الأخلاق والآداب التي أولاها القرآن الكريم والنبي العظيم (ص) أكبر جانب من الأهمية .

يحسن بالفقهاء العظام والأساتذة الكرام ذوي السمعة الطيبة أن يهتموا من خلال دروسهم وبحوثهم بتربية الأفراد وتهذيبهم ، ولابد للطلاب من السعي في تحصيل ملكات الكمال ، والصفات النفسية الفاضلة وأن يهتموا بواجباتهم ومسؤولياتهم الجسام .

أنتم اليوم تدرسون ، وغداً تقودون . . . لاتحسبوا أن مهمتكم تنحصر في استيعاب مجموعة من الاصطلاحات ، فان هناك مهام أخرى

وأنتم اذا جسدتم آداب الاسلام - كما هو المأمول منكم - كان من الميسور أن تجعلوا الناس يعملون على شاكلتكم ، ويقفون آثاركم ، فان لم تفعلوا فأينما كنتم فلن تزيدوا الناس الا غياً ، ولن تزيدوا الاسلام وأهله الا سوء سمعة وخمود ذكر .

المسؤوليات الخطيرة :

في أعناقكم واجب ثقيل ، ان لم تنهضوا به بل أهملتم أنفسكم واكتفيتم بحيازة كمية من المصطلحات ، وبتخريج بعض مسائل الفقه فسوف تكونون لاسمح الله ـ أداة قوية للاضرار بالاسلام والمجتمع ، فلئن رجع بسوء عملكم واعوجاج سلوككم فرد واحد عن الاسلام فقد جئتم شيئاً إدّاً ، يصعب معه قبول توبتكم : ولئن يهد الله بكم رجلا واحداً كان ذلكم خيراً لكم مما طلعت عليه الشمس على حد ماورد في الحديث .

أنتم لستم كغيركم من الناس ، فقد يباح لغيركم مالا يباح لكم ، بل قد يؤذن لهم بما يحرم عليكم . الناس يرأون بكم عن اتيان كثير من المباحات ، فماذا لو رأوا منكم منكراً ؟ ! أليس يحملهم ذلك على المبالغة في اساءة الظن بالاسلام وأهله ؟ ! :

ويكمن الداء في حقيقة أن الناس اذا أنكروا مما تأتون شيئاً فانهم يحاطون بالشكوك وترتسم في أنظارهم عن الاسلام صورة معتمة وياحبذا لو أساؤا الظن بالفرد الواحد منكم ، ولكنهم يسيئون الظن بالاسلام الذي لكم شرف الانتماء الى دعاته وقادته فأنتم أولاء ترون أناساً يملؤهم الفساد ، وممكن أن يكون فينا من

يحمل الفساد ، ولكن اذا فسد البقال قال الناس : هذا البقال قد ارتكب سوءاً ، واذا فسد العطار قالوا : هذا العطار قد جاء منكراً من القول أو الفعل ، ولكن اذا فسد واحد منكم قالوا : لقد انحرف العلماء وفسد أهل العلم فلا يسعني بعد هذا الا أن أؤكد حقيقة أن مسؤولية العلماء تختلف عن سائر الناس في حجمها وثقلها ونظرة واحدة في أصول الكافي والوسائل فيما يتصل بواجبات العلماء ومهامهم تكشف صحة مانقول . فقد ورد عن جميل بن دراج قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقـول : اذا بلغت النفس ههنا ، وأشار بيده الى حلقه ، لم يكن للعالم توبة ثم قرأ قول الحق سبحانه : انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب » . الوافي ج١ ص٥٣ .

وعن حفص بن غياث عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ياحفص ، يغفر للجاهل سبعون ذنباً قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد

ألا ترى الى أي مدى يلحق ذنب العالم ضرراً بالاسلام والمسلمين في حين لا يضر الجاهل في سوء عمله الا نفسه ، من أجل ذلك ورد في الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال في كلام له : العلماء رجلان : رجل عالم أخذ

بعلمه فهذا ناج ، وعالم تارك لعلمه فهذا هالك ، وان أهل النار يتأذون من ريح العالم التارك لعلمه . الوافي ج١ ص٥٢ .

فاذا انحرف العالم فمن الممكن أن تنحرف مع انحرافه أمة من الناس وتتعفن بنتنه ، واذا استقام وتحلى بالصفات الحميدة ، وأخلص دينه لله ، وعبده واتقاه حق تقاته ، فان جواً من الهداية وحسن السيرة سيسود الأمة .

في بعض أشهر الصيف كنت أزور بعض المدن وكنت ألمس في أهلها التزاماً وتمسكاً بالتعاليم الاسلامية ، ويعود سبب ذلك الى وجود عالم على قدر كبير من الصلاح والورع والتقوى بين أظهرهم .

فان وجد في بلد عالم يحوز درجة كبيرة من الاستقامة والهدى وسلامة النفس ، ويعمل في الناس بالتقوى ، فسيكون وجوده مدعاة لاستقامة الناس وسلامة نفوسهم وان لم يحرك بالارشاد والتوجيه والتبليغ لسانه أو يده .

ولقد رأينا أناساً ، أعمالهم ترغب الناس بالآخرة ، ورؤيتهم تذكر بالله ، فكانوا مصداق ما ورد في الحديث عن الفضل بن أبي قرة ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : قال الحواريون لعيسى بن مريم : ياروح الله

من نجالس ؟ قال : من يذكركم الله رؤيته ، ويرغبكم في الآخرة عمله ، ويزيد في علمكم منطقه . الكافي : ج١ ص٣٩ .

وعن ابن أبي يعفور ، قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم ، ليروا منكم الورع والاجتهاد والصلاة والخير فان ذلك داعية . الكافي : ج٢ ، ص٧٨ .

ها نحن نرى مناطق طهران وضواحيها يختلف بعضها عن بعض في درجة تمسك أهلها والتزامهم ونوعية سلوكهم ، فالعالم المهذب يحمل المنطقة كلها على سيرته وحسن سلوكه ، وعالم السوء الذي لا يحيط به من الناس إلا من كان على شاكلته يكون أداة هدم وتخريب لما تبقى لدى الناس من دين وخلق . هو ذا العالم التارك لعلمه الذي يؤذي أهل جهنم ريحه بعد أن أشاع النتن في هذه الحياة . وما ذاك النتن المؤذي في الدار الآخرة إلا من هذا النتن الذي غرق فيه في هذه الدار يجده حاضراً هناك يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء . وأنتم تعلمون أنه لا يقدر على اشاعة مثل هذا النتن هنا والريح المؤذية هناك ، إلا عالم السوء ، ولا يتأتى ذلك من رجل السوق الذي لا يجرؤ على ادعاء الامامة أو المهدوية أو النبوة أو الألوهية . ذاك هو عالم السوء الذي يجر العالم معه إلى الفساد ، وإلى الهاوية وذاك هو مصداق ما ورد من أنه : اذا فسد العالم فسد العالم .

رجال دين محترفون

كثير ممن حملوا الأفكار الضالة وأذاعوها في الناس وأخرجوا كثيراً منهم من النور الى الظلمات ـ كان في أول أيامه من أهل العلم ، وبعضهم قد نال قسطاً غير يسير من العلم ، مع ما يرافق ذلك من التحمل لشظف الحياة ، ومعاناة الصعاب .

أعرف صاحب نحلة فاسدة قد تلقى العلم في صفوفنا ، ولكنه بسبب من خلو علومه من زكاة النفس ، وبسبب ابتعاده عن سبيل الله ، مع مزيج من خبث السريرة ـ ظهرت له بدع شائنة . واذا لم يخل الانسان نفسه من الرذائل ولم يحلها بالفضائل فان علومه ومعارفه لا تغنيه شيئاً ، بل تعود عليه بأبشع الضرر ، ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار . وكلما احتشدت العلوم ، وتراصفت المفاهيم في القلب المظلم فانه لن يزداد إلا صفاقة وظلمة .

لذا يكون شر العالم الفاسد أشد خطراً على الاسلام من أي لون آخر من الشرور . ولئن كان العلم نوراً ، فانـــه في القلب الأسود المليء بالفساد يجر على صاحبه ذيول العتمة والظلام ويعود

العلم الذي يقرب الانسان الى الله في دخيلة المتهالك على الدنيا ، أداة بعد وافتراق عن حضرة ذي الجلال . وحتى علم التوحيد اذا لم يقصد به إلى الله فانه يكون من حجب الظلام لأنه اشتغال بما سوى الله : واذا قرأ أحد أو حفظ القرآن على أربع عشرة قراءة ، وكان ذلك لغير الله ، فلن يزيده عن الله إلا بعداً ، وفي الايمان إلا ضعفاً :

اذا درستم واجتهدتم وبالغتم في الدرس والاجتهاد فبالامكان أن يعرف الناس أنكم علماء ، ولكن لتعلموا أنتم أي فارق كبير بين العالم والإنسان المهذب ! ! ! كان أستاذنا ومعلمنا رحمه الله يقول : كان يقال : ما أسهل أن يكون الانسان عالماً ! وما أصعب أن يكون الانسان انساناً ! والأرجح في نظري أن يقال : ما أصعب أن يكون الإنسان عالماً ! وما أبعد أن يكون الانسان انساناً . ذلك أن كسب الفضائل والمكرمات واتخاذ الموازين الانسانية من الأمور الصعبة جداً والكبيرة جداً ، وهي تثقل كاهل كل منا ! لا تتصوروا أنكم الآن وأنتم تمارسون دراسة العلوم الدينية ، والفقه الذي هو أشرفها - أنكم في راحة وأنكم قد استنفدتم كل ما وجب عليكم ، فان هذا ان تجرد عن الاخلاص فليس بشيء : جهودكم العلمية هذه ان كانت - والعياذ بالله - لغير الله ، وكانت من أجل الجاه

والسمعة والشهرة وحب الذات فقد أثقلتم ظهوركم بأوزار ثقيلة تعود وبالاً عليكم فيما بعد . وكلما كثر ما تكسبونه من معلومات ومصطلحات ولم يكن لوجه الله ولم ترافقه التقوى وحسن السيرة ، فلا شيء لكم إلا خسران الدنيا والآخرة !! كم من عالم في التوحيد ضل وضل به ، ولم يَهتدِ ولم يُهتَد به إلى سواء السبيل . وكم من عالم حاز من هذه العلوم مثل الذي حزتم بنحو أفضل ، وكان مزاج ذلك انحراف لم يعقبه صلاح ، فانتهى به الأمر وبمن يتصل به إلى التيه والضلال . هذه المصطلحات الجافة إن تجردت عن التقوى والصلاح ، فكلما زاد مخزونها في الذهن ، فان الأمر ينتهي بصاحبها إلى الكبر والعجب والغرور ، ويكون بذلك أبعد الناس عن نفع النـــاس ، بل يكون أقرب الى الاضرار بالاسلام والمسلمين . وقد يعود مثل هذا بعد جهود مضنية ، وسنين طويلة من الدراسة ، مع ما يستهلكه من أموال بيت المال وما يستفيده من مزايا الدراسة ومخصصاتها ، قد يعود هذا عقبة تحول دون تقدم الاسلام والمسلمين ، وتحول بين الناس وبين التعرف على حقيقة الاسلام وواقعه ، وبالتالي يكون وجود مثل هذا عائقاً يمنع الأمة من فهم دينها وقرآنها ، وفهم رسالتها ، وفهم أهل هذه الرسالة وحملتها .

التربية توأم التعليم

أنا لا أقول : دعوا العلم ، وأعرضوا عن التعلم . فان أعرضتم فأي حق لكم في المدرسة ، وفي استهلاك أموال بيت المال ؟ : ولكن لتعلموا أن أحدكم اذا أراد أن يكون عنصراً فعالاً مؤثراً فلابد أن يتحمل أعباء قيادة أمة من الناس ، ليوجههم وجهة صحيحة ، ويستميت في الدفاع عن الاسلام ، مع ما يمارسه من مواصلة الدرس وخوض عباب العلم ، وترسيخ اسسه الفقهية وتملك نظرة فقهية عميقة ، ويقرن ذلك كله بخطوات واسعة في اصلاح نفسه وكبح شهواته ورغباته ، وخطوات أخرى في كسب مكارم الأخلاق ونيل القوى المعنوية الخلاقة ، كل ذلك إلى جوار خطواته الراسخة في الفقه والأصول والعقائد . وهذه العلوم في واقع الأمر مقدمة يتوصل بها إلى تهذيب النفس ونيل الفضائل ، والتحلي بالآداب والأخلاق الحميدة وصفات الكمال فلا تقضوا أعماركم في المقدمة من دون محاولة الوصول إلى النتيجة . لابد أن تجدوا وتجتهدوا للوصول إلى أهدافكم السامية والمقدسة في معرفة الله وتهذيب النفس ، وتدرسوا هذه العلوم لتنالوا نتائجها وثمرانها الطيبة التي هي المقصود الأصيل من

كل دراستكم وتعلمكم :

أنتم اذ تلجون هذا الباب فلابد أن تأخذوا أنفسكم بالصلاح وما دمتم تخوضون غمار العلم ، فلابد أن تمزجوا ذلك بتهذيب النفس ، حتى اذا خرجتم الى الناس ، وجمعكم وإياهم مكان ـ استفادوا من أفعالكم وأقوالكم وفضائلكم وسلوككم ، وكان لهم فيكم أسوة حسنة لمن كان يرجو حسن العمل وحسن العاقبة . أصلحوا أنفسكم قبل أن تخوضوا غمار المجتمع ، فقد يصعب على أحدكم اذا فاتته الفرصة الآن أن يدركها بعد خروجه إلى الناس . هناك أشياء قد تمنعك من العلم ، ومن حسن السيرة أحياناً ، وقد تجعلك في حالة تعيسة تارة أخرى ، منها هذه اللحية والعمامة ، فاذا كبرت عمامتك وطالت لحيتك شيئاً قليلاً ولم تكن مهذباً كما يراد لك أن تكون ، فستدركك أنفة يصعب عليك معها أن تسحق نفسك الأمارة بالسوء وتحضر درس أحد . الشيخ الطوسي رحمه الله كان يختلف إلى درس السيد المرتضى في سن الثانية والخمسين ، في حين كان قد فرغ من تأليف التهذيب ـ كما يقال ـ في العقد الثالث من عمره . لا تدع الشيب يدركك قبل اكتساب الملكات الفاضلة ، وقبل تقوية الروح ، ولا تجعل لنفسك عليك سبيلاً فتحرمك من العلوم ، وسمو الذات ، ومن جميع البركات والخيرات . اغتنموا شبابكم قبل هرمكم . اعملوا

قبل أن يحتفي الناس بكم ويلتفوا حولكم ، وفكروا في أمركم قبل أن تدخلوا المجتمع بنفوذ كبير وشخصية مؤثرة قد تنسيكم أنفسكم ، بل قد تفقدكم القدرة على معرفة أنفسكم . لا تطلقوا لأنفسكم أعنتها روضوها على الأخلاق الحميدة ، وأبعدوا عنها كل خلق وضيع ، وأخلصوا في دروسكم وبحوثكم حتى تكونوا على مقربة من الله ، ويكون بعين الله ما تعملون . فان لم تكن نيتكم خالصة في أعمالكم ، كانت صحيفتكم بعد سبعين من السنين تشير - لا سمح الله - إلى أنكم بعداء عن الله جداً . هل سمعتم قضية ذلك الحجر الذي سقط في جهنم فسمع له صوت عظيم من قعر جهنم كما نقل ذلك عن الرسول صلى الله عليه وآله أنه قال ذلك في رجل عجوز قضى من العمر سبعين عاماً وهو يهوي بأعماله ورذائله في نار جهنم حتى اذا أدركه الموت وقع في أسفل درك منها . احذروا أن تعملوا خمسين عاماً أو أدنى من ذلك أو اكثر بكد اليمين وعرق الجبين ، وينتهي بكم عملكم إلى جهنم وساءت مصيرا . ارسموا لاصلاح انفسكم وتهذيبها منهاجاً ، واستعينوا على أنفسكم بمن يعلمكم الأخلاق ويهذبكم . أكثروا من مجالس الوعظ واحضروا مجالس الارشاد ، وتناصحوا ، وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر ، وما هذب نفسه من لم يسمع النصيحة من غيره . واذا خلت مجامعنا العلمية من

المربين ورجال الأخلاق وجلسات الوعظ والارشاد ، فانها سيحكم عليها بالانهيار والفناء .

ألا ترون علم الفقه والأصول بحاجة إلى مدرس وإلى بحث ودرس ومدارسة ، وكذلك الشأن في سائر العلوم ، ومن أراد التخصص في عمل أو صنعة لابد له من معلم ومدرب . ألا يكون علم الأخلاق الذي هو هدف بعثة الانبياء ومن أدق العلوم بحاجة الى التعليم والتعلم ؟ وهل يتيسر لأحد منا أن ينال من الصفات اكملها ، ومن الخصال أحسنها من غير أن يسمع أو يتعظ أو ينتصح ؟ مراراً عديدة سمعت أن سيداً جليلاً كان معلم أخـلاق ، ومربياً لأستاذ الفقه والأصول المرحوم الشيخ الأنصاري ، وما كانت بعثة الأنبياء إلا لأجل تربية الناس ، وصياغة الانسان بعيداً عن الدناءة والوضاعة والفساد ورذائل الأخلاق (بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) سفينة البحار ج١ ص٤١٠ .

هذا العلم الذي أولاه الله مثل هذه الأهمية ليس متداولاً في مجامعنا ، ولا يعطى حقه من الاهتمام . ونتيجة ضآلة رصيدنا المعنوي والخلقي انتهى بنا الأمر إلى أن تشغلنا مسائل مادية ودنيوية ، وتبعدنا عن متطلبات الروح ، ومقتضيات سمو الذات ، حتى أصبح أحدهم لا يدري ما هي مهمته ؟ وما هو دوره ؟ وما هو منهـاجه في

الحياة ؟ ! وبعضهم انحصر همه في تعلم كلمات ومصطلحات ، ثم يذهب إلى مسقط رأســه ليستغـل ويستفيد ، ويسيء الاستغلال والاستفادة ويسيء معاملة الناس بعد ذلك حرصاً على المقام والمنزلة والجاه ، وقد بلغ الأمر بأحدهم أن قال : لئن انتهيت من دراسة (شرح اللمعة) فسوف يعرف مختار المحلة من أنا ، وسوف اكون له بالمرصاد ، وسوف أعامله بما يليق . لا يبلغ بكم الامر إلى حد أن يكون كل هدفكم من الدرس هو الوصول إلى الشهرة أو نيل جاه أو مقام أو تملك قياد مدينة أو قرية معينة ، فقد يمكنكم ادراك ذلك كله أو بعضه ، وتشبعون بذلك رغباتكم وأمانيكم التي يمليهـا عليكم شيطانكم ، ولكن ذلك لا يعود على الاسلام والمسلمين إلا بأوخم العواقب ، وأفدح الأضرار . معاويـة ترأس قومه أربعين عاماً ، ولكنه لم يكسب لنفسه سوى لعنة الدنيا وعذاب الآخرة .

لابد أن تهذبوا أنفسكم حتى اذا انقاد اليكم الناس هذبتموهم وأصلحتم أمتكم ، وجعلتم كل هدفكم خدمة الاسلام والمسلمين .

اذا خطوتم في سبيل الله فان الله سيحول القلوب إليكم ويجعل أفئدة من الناس تهوي إليكم . ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً (مريم ٩٦) اجهدوا أنفسكم في ذات الله ، وقدموا أكبر تضحية ، وتقدموا بأضخم فداء ، فان الله لا يضيع

عمل عامل منكم وان الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً ، وان الله لا يضيع أجر المحسنين ، فسوف يجازيكم من عطائه ان عاجلا أو آجلا ، ويجعل لكم مفازا ، ويهيء لكم من أمركم رشدا . ما أقل شأن الدنيا عند الله ، ولجزاء الآخرة خير لكم وأبقى . فهذه الحياة بكل صخبها وضوضائها وآمالها وآلامها وأمانيها أيام معدودة سوف تنتهي ، ولا تكون إلا كحلم خاطف يعقبه أجر أخروي لا يتناهى ، ورضوان من الله أكبر .

خطر انحطاط مجامعنا

قد تمتد أيدي السوء ، وتنفث السموم ، من أجل تقليل الاهتمام بالشؤون التربوية وبرامج الاصلاح ، وتعيب على ذوي المقام العلمي أن يمارسوا القيام بدور التوجيه والارشاد ، وتنزه العالم عن أن يكون منبرياً . ألم تعلموا أن أمير المؤمنين عليه السلام كان صاحب منبر ، وعلى المنابر كان ينصح الناس ، ويحذرهم ويبشرهم ويعمل على توجيههم ، وعلى ذلك سار باقي ائمتنا بمقدار ما سمحت به الظروف .

هنـاك اشخاص متهمون في أنفسهم يبثون تلك الفكرة ، ويعملون لنزع الروح المعنوية ، والأخلاقية المثالية من أوساطنا ، وفك الارتباط فيما بيننا ، وتوسيع الشقة بيننا وبين سائر الناس : كل ذلك من أجل سقوطنا ، والايقاع بنا ، وزيادة الخلاف فيما بيننا وايقاد نار الفتنة بين الاخوة ، وخلق العداوة والبغضاء ، والنفاق والاعجاب ، حتى لا تبقى لنا سمعة طيبة بعد ذلك ، ويكون يسيراً للاعداء أن يملكوا علينا أمرنا ويمحوا ذكرنا .

الذين يريدون بنا السوء يعلمون علم اليقين أن الشعوب تؤيدنا

ومادام الشعب من ورائنا فلن يجدوا الى مايريدون سبيلا . ويوم يتخلى الطلبة وأهل العلم عن الأسس الأخلاقية ، والآداب الاسلامية ويقع بعضهم في بعض ويتحيز كل الى فئة ، فمن الطبيعي جداً أن يسيء الناس الظن بنا ، وسوف يكون للعدو علينا أكثر من سبيل واذا رأيتم الدول تحترم المرجعية ، وتحسب للعلماء حساباً فما ذلك الا للتأييد الذي يلقونه من أبناء شعبهم المسلم وفي واقع الأمر هم يخافون الشعب ، ويقدرون أنهم اذا أهانوا أحد العلماء أو تعرضوا له بسوء فان الشعب سوف يصرخ في وجوههم ، لكن اذا اختلف العلماء في مواقفهم ، ولم يوحدوا كلمتهم ، سقطوا من أعين الناس ، وخسروا القوة الكبيرة التي تدعمهم ، وهان أمرهم ، وكان في ميسور العدو أن يتغلب عليهم ويسحقهم . وقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام : لو أن حملة العلم حملوه بحقه لأحبهم الله وملائكته وأهل طاعته من خلقه ، ولكنهم حملوه لطلب الدنيا فمقتهم الله وهانوا على الناس . تحف العقول ص ٤٧ الطبعة القديمة . الشعب يتوسم فيكم أن تكونوا روحانيين ربانيين ، متأدبين بآداب الاسلام ومتخلقين بأخـــلاقه ، وأن يراكم من حزب الله ومن أهل طاعته فاحذروا زخرف الحياة الدنيـــا ، وتفانوا في سبيل تقدم الاسلام وازدهاره وانتشاره ، واخدموا أمتكم ، ووسعوا خطواتكم في سبيل

مرضاة الله ، وسارعوا إلى مغفرة منه وجنة ورضوان ، واعتصموا به ، واتكلوا عليه دون سواه .

أما اذا رآكم الناس وقد أهمتكم الدنيا ، وسعيتم لارضاء أنفسكم ونيل منافع دنيوية ومكاسب شخصية ، ومن أجل كل ذلك تتنازعون وتتخذون - والعياذ بالله - قرآنكم دخلا بينكم ، ويكون الدين في أيديكم بضاعة رائجة ، وصفقة مربحة اذا رآكم الناس على مثل هذا فسيضلون بكم ، وستسألون عنهم ، يوم حملتم أوزاراً مثل أوزاركم ألا تعلمون أن من ارتكب خطيئة أو إثماً فقد ظلم نفسه وقد خاب من حمل ظلماً ، أعيذكم أن تخونوا الله ورسوله وتخونوا ما ائتمنكم عليه من الدين أنتم تعلمون أن الله قد جعل دينه أمانة في اعناقكم وهو سائلكم عن ذلك ، وقد استرعاكم القرآن ، والعلماء هم أمناء الله ووظيفتهم الحفاظ على هذه الامانة وعدم التفريط بها . لكن ما يأتيه البعض من قول أو فعل ، قد يعد خيانة كبرى للاسلام ونبيه العظيم .

الاختلاف . . . لماذا ؟

لا أدري فيم تختلفون ؟ ولم تتنابذون ؟ ولماذا كل حزب بما لديهم فرحون ؟ هل تؤثرون الحياة الدنيا ولم تؤتوا منها نصيبا ؟ وما كان لكم أن تتنازعوا فيما ليس فيه نصيب الا أن تذهبوا بطريقكم المثلى ، فلا يكون لكم مارثونه الا لحية وعمة وجبة . ألم تتخذوا الى ربكم مآباً ؟ ألم تستجيبوا لله وللرسول حينما دعاكم الى مايحييكم ألم تتنوروا بنور الاسلام وتتخلقوا بأخلاقه ؟ أليس ينبغي لكم أن تكون لكم في علي بن أبي طالب أسوة حسنة ؟ ألم تعلموا بأنه قد أعرض عن مشتهياتهـــا ، ولم يدر بخلده يوماً أن يثير الفتنة والخلاف من أجلها . ألا تقرأون سيرة إمامكم وتقارنونها بسيرتكم ؟ هل بلغتم من زهده وتقواه وورعه عن محارم الله ، وبساطة عيشه مبلغاً يسيراً ؟ ما هو مبلغكم مما عرف عن ذلك الرجل العظيم من مقارمة للظلم والتمييز العنصري ، ومن الأخـــذ بناصر المظلومين والمسحوقين والمستضعفين والمحرومين والمعذبين ؟ هل تكتفون من تشيعكم بالمظهر ؟ فأي فرق اذن بينكم وبين غيركم ؟ ولعل في غيركم من يكون أشد التزاماً من بعضكم !!!

أولئك الذين أحرقوا النـاس وسفكوا الدماء وأفسدوا في الأرض يتسابقون في نهب الشعوب ثرواتها ، واخضاعها لسيطرتهم ، وقد استضعفوا الناس فاغتنموا أكلهم ، وزينوا كل ذلك باسم الحرية وإعمار الأرض واعطاء الحقوق في الاستقلال والتحرير وتقرير المصير وقذفوا ملايين الاطنان من القنابل والمتفجرات على رؤوس الناس أولئك يفكرون بطريقتهم ومنطقهم ويرون أنهم على حق فيما يعملون وينهجون ولكن هل أنتم لمثل هذا تعملون ، وعلى مثل ذاك تتنافسون ؟ انكم إذن مثلهم

اولئك اذا سألتهم لم تتحاربون وتقتتلون ، فانهم سيجيبون : نريد ثروة ومعادن وأسواقاً ، واذا سئلتم فيم تختلفون ولم تتنابذون فماذا تجيبون ؟ أي نصيب جعل لكم من هذه الحياة حتى تختلفوا فيه . أنتم لم تؤتوا سعة من المال ، بل يمكنني أن أقول إن ما انتالونه من العلماء في الشهر الواحد لا يكاد يساوى أثمان سيكايرهم . وقد رأيت في جريدة أو مجلة أن ما تنفقه حاضرة الفاتيكان على القاصد الرسولي في واشنطن مبلغ ضخم جداً ، وبعد عملية حساب وجدت أن ذلك يزيد على كل ما ينفق في المجامع العلمية الشيعية من أموال . فهل يصح لكم وأنتم على مثل هذا اللون القاتم من الحياة أن يشجر بينكم مثل هذا الخلاف ؟ ويتحكم فيكم مثل هذا التنازع ؟

وكل خلاف لا يحمل هدفاً معيناً ذا قداسة فهو إنما يستمد جذوره من حب الدنيا والاخلاد إليها . فان وجد بينكم خلاف على هذا النحو فهو يكشف أن حب الدنيا لا يزال يعمر قلوبكم ؛ والتهافت على حطام الدنيا يجر إلى التحاسد والتباغض والتصادم ؛ لكن أهل الله الذين نزع ما في قلوبهم من غلٍ ، ولا هم لهم إلا ابتغاء مرضاته لا تجدهم غارقين فيما أغرق فيه سواهم من هذه المفاسد والآثام .

ولو رجع الأنبياء ، وجمعهم مكان أو زمان فان هدفهم سيكون واحداً ، ومقصدهم متحداً ، لأنهم لا يدعون إلا إلى عبادة رب واحد ، وقد أخلصوا دينهم لله ، ولم يبق في قلوبهم مكان لحب الدنيا وحطامها .

واذا استمرت سيرتكم على ما أنتم عليه فاحذروا أن يدرككم الموت ولم تكونوا في عداد شيعة علي بن أبي طالب واحذروا أن تحرموا لحظة توفقون فيها للتوبة ، واحذروا أن لا يكون لكم في شفاعة إمامكم نصيب .

فاغتنموا فرص الخير وانتهزوها فانها تمر كما يمر السحاب وفوت الفرصة غصة . وحاسبوا أنفسكم . وأنبذوا ماشجر بينكم من خلاف مبتذل مهين وتنزهوا من هـذا التفرق شيعاً وأحزاباً

ألستم أهل ملة واحدة ؟ هل يتضمن مذهبكم عديداً من الشعب ؟ لماذا لا تنتبهون ؟ ولماذا لا تتصافون ؟ لماذا لا تتآخون ؟ لماذا ... ثم لماذا ؟

هذه الاختلافات ذات خطر عظيم ، تحمل في طياتها مفاسد تتهاوى فيها مجامعنا العلمية الى الحضيض ، وتجعلكم ضايعين ، ذوي سمعة سيئة .

هذا التفرق والتكتل لا يقتصر ضرره عليكم وليس يسيء سمعتكم فقط ، بل يسيء الى أمة بأسرها والى الاسلام نفسه ، ومايجنيه خلافكم من مفاسد وما تترتب عليه من آثار هو أعظم عند الله من كثير من المعاصي والموبقات ذلك أن خلافكم يفسد الأمة ويوهن كيانها ويجعل للكافرين والظالمين على المؤمنين أكثر من سبيل ، وأنتم تعلمون علم اليقين أن لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا .

ربما تكون هناك عناصر غريبة مدسوسة تبذر بذور الشقاق والنفاق ، وتسمم العقول والافكار ، وتضفي على هذه الخلافات صفة المشروعية ، ثم تصل الى افساد الحوزة العلمية ، وينتقض الأمر على كل من يفكر في مستقبل الاسلام ، وتغل الأيادي الصالحة الخيرة عن تقديم أية خدمة ممكنة للاسلام وللأمة الاسلامية : عليكم

أن تأخذوا حذركم . لا تجعلوا أنفسكم ملهاة في أيديهم ، لا يصور أحدكم لنفسه أن واجبه الشرعي كذا وموقفه الشرعي كذا ، فان الشيطان قد يسول لكم أحياناً بعض مالم ينزل الله به من سلطان ، ويظهر لكم أهواءكم ونزعاتكم بمظهر المطالب المشروعة التي لابد من نيلها والوصول اليها . ليس من واجباتك الشرعية أن تهين أحداً ، ولا أن تغتاب أحداً . كل هذا حب دنيا وأعجاب بنفس كل هذا يمليه الشيطان عليك ليسود به صفحة حياتك . ويسخم به صحيفة أعمالك ان ذلك لحق تخاصم أهل النار فهل تريدون أن تتنازعوا هنا تخاصماً يشبه تخاصم أهل النار ؟ أما الآخرة ان كنتم تريدونها فلا تجر نزاعاً ولا خلافاً . وأهلها يشيع بينهم الوفاء والصفاء ، وتملأ قلوبهم المحبة لله ولعباده وللخير ، ومحبـــة الله عندهم تستلزم محبـــة أهل الايمان به ، ومحبة أهل الايمان تنشأ في ظلال محبة الله نفسه . فلا توروا هذه النيران بأيديكم ، ولا تحملوا حطب جهنم على ظهوركم بحملكم أوزاركم في هذه الحياة الدنيا ، فلولا أعمالكم لم تتقد نار جهنم واذا تمرستم في أعمالكم فانتم وقودها ، تضاجعون الأحجار مقرنين هنالك وفي السلاسل تسحبون . طبيعة النفس الأمارة بالسوء محرقة ، فلا تحرقوا أنفسكم بالاقبال عليها ، فاذا جاء أحداً منكم أجله ، وحان حينه وفارق

هذه الحياة علم حينئذ ان ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد، ويرى مصداق قوله تعالى : (ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مالهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ووجدوا ماعملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً) (يومئذ تعرضون لا تخفي منكم خافية)(يومئذ يصدر الناس اشتاتاً ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) .

جميع أعمالنا قد صورت ، وكلها قد تجسدت ، وكلها قد عرضت (حتى اذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون ، وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي أنطق كل شيء) (وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ، ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون ، وذلكم ظنكم الـذي ظننتم بربكم أردكم فاصبحتم من الخاسرين) . فكروا في عواقب أموركم ، وتأملوا ، وحاسبوا نفوسكم واذكروا هادم اللذات ، واذكروا ضغطة القبر ، وعالم البرزخ ولا تغفلوا عما يحيط بكم بعد الموت ، فان كان ولابد فأيقنوا بجهنم وقد أعدت للمجرمين ، تذكروا ما كان أمير المؤمنين ينادي به أصحابه من قوله : (تجهزوا رحمكم الله ، فقد نودي فيكم بالرحيل ،

وأقلوا العرجة على الدنيا ، وانقلبوا بصالح ما بحضرتكم من الزاد ، فان أمامكم عقبة كؤوداً ومنازل مخوفة مهولة لابد من الورود عليها ، والوقوف عندها ، واعلموا أن ملاحظ المنية نحوكم دائبة ، وكأنكم بمخالبها وقد نشبت فيكم وقد دهمتكم فيها مفظعات الأمور ومعضلات المحذور ، فقطعوا علائق الدنيا واستظهروا بزاد التقوى)

وباليقين أجزم لو أن الانسان أدرك هذه العقبات الخطيرة ، لكان له في قوله وفعله وحياته كلها شأن آخر . لو كنتم قد آمنتم وأيقنتم بكل هذا ، ما كنتم تعطون أنفسكم المقاد ، ولأقللتم من هذا الانفلات والانطلاق والتهرب من التعاليم ، ولكنتم توجهون أقلامكم وألسنتكم وخطواتكم ، وتحفظونها ، وتنحون بها نحو إصلاح أنفسكم وتهذيبها وتزكيتها ، بكل ما أوتيتم من قوة وعزم .

العنايات الالهية

وبما أن الله لطيف بعباده فقد منحهم العقل ، وبه يهذبون أنفسهم ويزكونها . وأرسل اليهم الأنبياء مبشرين ومنذرين وهداة ومصلحين ، ومن عذاب جهنم منقذين . فاذا لم يتنبه المؤمن بذلك ، ولم يستيقظ ، ابتـلاه الله بشيء من الجوع والخوف ونقص في الأنفس والأموال والثمرات ، كدواء يقدمه طبيب حاذق وولي ناصح يريد معالجة هذا البشر المحاط بأمراض النفس الخطيرة . وقد تحل عناية الله بعبد فيبتليه كي ييسره لليسرى ، ويجنبه ناراً تلظى ، ويجعله سوياً يمشي على صراط مستقيم . ولابد للانسان مع كل ذلك أن يسعى ، ويعرف أن سعيه سوف يرى . فاذا لم يتنبه العبد بالابتلاء ، وبقي في غفلته لا يدري أشر أريد به أم أراد به ربه رشداً ، فان الله يبتليه حالة النزع من أجل أن يخفف عنه وزره ، وقد يجعل له في القبر وعالم البرزخ عقبات مهولة ويذيقه ضغطة القبر وعذابه . . كل ذلك ليطهره ويجنبه عذاب الجحيم ، كل ذلك عناية منه ولطف بعبده واذا لم ينفع ذلك كله فآخر الدواء الكي كما يقول المثل ، ولابد المذهب أن يصفو في النار من كل شائبة .

ورد في تفسير قوله تعالى : (لابثين فيها أحقابا) أن هذه جاءت في الذين لايخالدون فيها ، والله يعلم كم ألفاً من السنين تساوي كل حقبة . احذروا أن يصل بكم الأمر الى الحد الذي لا يجدي فيه معكم جميع سبق ، فلا تكونوا اذ ذاك من أهل النعيم ويضطركم الله الى الجحيم ـ والعياذبالله ـ حتى تتطهروا من نتائج رذائل الأخلاق ، وخبائث النفس ؛ وتكسبوا أهلية أن تكونوا في أصحاب النعيم . لا جعلكم الله ممن أحاطت بهم سيئاتهم فأبعدهم من رحمته وجعل النار مثوى لهم وجعلهم فيها خالدين . احذروا أن تحرموا من رحمة الله ولطفه واحذروا أن يحل عليكم غضب من ربكم وعذاب أليم . لاتكن أعمالكم وأقوالكم جاعلة اياكم في أصحاب السعير . أنتم الآن لا تستطيعون أن تمسكوا حجراً ساخناً في أيديكم فاتقوا ناراً وقودها الناس والحجارة . أطفئوا النيران الموجودة في مجامعكم ، وأبعدوا الخلاف عنكم ، فان الخلاف يوهن أمركم ويسل رأيكم . وأنزعوا من قلوبكم كل غل ، وأحسنوا عشرتكم وقولوا للناس حسناً ، وقولوا للناس أحسن ماتحبون أن يقال لكم ، وأنظروا اليهم ، واحترموهم ، وجانبوا أهل الشر تبينوا عنهم ، وخالطوا أهل الخير تكونوا منهم وأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ، وجنبوا أنفسكم الهرج والمرج وسوء التدبير ، وأحبوا وصافوا أولياء الله وأحباءه ، وأكرموا

العالم لعلمه ، واحترموا الرجل الصالح لحسن بلائه واجتهاده في طاعة ربه واتيان صنوف الخير . والطفوا بهم وصاحبوهم بالمعروف كونوا مهذبين مع الناس لأنكم تريدون أن تهدوا الى الحق أمة ، وترشدوها الى سبيل الخير . ومن لا يصلح نفسه كيف يصلح غيره ؟ ومن كان تائهاً كيف يدل غيره على الطريق (أفمن يهدي الى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي الا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون ؟) لم يبق من شعبان الا أيام معدودة فاكتسبوا فيها الخير وتوبوا الى الله وتضرعوا له ، وأصلحوا ذوات أنفسكم ، حتى تدخلوا شهر الله وتكونوا في ضيافة الله .

مناجاة شعبانية :

في شهر شعبان هذا هل ناجيتم ربكم بما علمتم أن تناجوه به ؟ وهل استفدتم من معاني هذه المناجاة المروية عن أمير المؤمنين عليه السلام . ازدياداً في المعرفة وتعمقاً في الايمان بالله ؟

وقد عرف هذا الدعاء بأنه مناجاة أمير المؤمنين وأولاده الأئمة المعصومين ، كانوا يناجون بذلك ربهم في خلوتهم به ، وقل مايقال عن دعاء أو مناجاة أنـــه دعاء الأئمة جميعاً أو مناجاتهم جميعاً .

هذه المناجاة في الحقيقة مقدمة للاعداد لتقبل مهات شهر رمضان المبارك ، تذكر بفوائد الطاعة وثمراتها الجنية وقطوفها الدانية

وقد استعان أئمتنا عليهم السلام بأسلوب الدعاء لبيان وتجلية كثير من الامور ، فبينوا المسائل العقلية ، ومسائل ماوراء الطبيعة والمسائل الالهية الدقيقة ، وكل ما يتصل بمعرفة الله وتوحيده . ومن المؤسف الا نحاول استجلاء ما يريد الائمة بيانه .

نحن نقرأ في هذه المناجاة : (الهي هب لي كمال الانقطاع إليك ، وأنر ابصارنا بضياء نظرها إليك حتى تخرق أبصار القلوب

حجب النور فتصل إلى معدن العظمة وتصير أرواحنا معلقة بعز قدسك) . هذه الجملة ، جملة الهي هب لي كمال الانقطاع إليك لعلها تشير إلى أن الربانيين يريدون - قبل حلول شهر رمضان - ان ينقطعوا إلى الله ويجتنبوا لذات الدنيا اجتناباً كاملاً يجسد الانقطاع الى الله ويمثله حقاً . وليس كمال الانقطاع الى الله من السهولة حيث تحسبون ، بل لابد أن يشق الانسان على نفسه ، ويحملها على ما تكره ، ويروضها على الاستقامة حتى يمكنه أن ينقطع بكل ما أوتي من قوة وأيد عما سوى الله ، ويصرف وجهه اليـــه ويرغب بنفسه عن كل ما عداه . وكل صفات الخير ، وجمال النفس وسمو الذات ، ينحصر كل ذلك في الانقطاع الكامل الى الله . وسوف ينال سعادة مافوقها سعادة من تحلى بهذا الانقطاع ، مالم تكن شائبة اهتمام بالدنيا . والذي يريد أن يصوم شهر رمضان بكل ما أحيط به من آداب لابد أن يحقق مثل هذا الانقطاع حتى يتحلى بكل آداب الضيف الذي يعرف لضيافة الله قدرها ، ويعرف لرب الضيافة قدره ومكانه .

ضيافة الله :

ورد عنه صلى الله عليه وآله في خطبة له : (أيها الناس ، انه قد أقبل اليكم شهر الله بالبركة والرحمة والمغفرة ، شهر هو عند الله أفضل الشهور ، وأيامه أفضل الأيام ، ولياليه أفضل الليالي ، وساعاته أفضل الساعات ، هو شهر دعيتم فيه الى ضيافة الله ، وجعلتم فيه من أهل كرامة الله أنفاسكم فيه تسبيح ، ونومكم فيه عبادة ، وعملكم فيه مقبول ، ودعاؤكم فيه مستجاب ، فاسألوا الله ربكم بنيات صادقة وقلوب طاهرة أن يوفقكم لصيامه وتلاوة كتابـــه) .

فكروا فيما ستستقبلون من شهر رمضان في اصلاح أنفسكم والتوجه الى ربكم . واستغفروا ربكم انه كان غفاراً ، وطهروا نفوسكم قبل أن يدخل عليكم شهر رمضان وعودوا ألسنتكم على أن تلهج بذكر الله وفي شهر رمضان لا يغتب بعضكم بعضاً ولا يلمز بعضكم بعضاً ، وأطيعوا ربكم وأنيبوا اليه ، فأعدوا أنفسكم لهذه الضيافة العظيمة ، وحافظوا على الأقل على مظاهر الضيافة ان لم تريدوا لأنفسكم المراقبة الشديدة والجهاد الدائم والمشقة المستمرة .

وليس معنى الصوم الحقيقي هو الامساك عن الطعام والشراب ، بل هو امساك عن المعاصي أيضاً ، وهذا من المبادىء الأولية للذين يبدأون خطوة في الطريق . وأما آداب الربانيين الذين يرون الوصول الى معدن العظمة فهي فوق ذلك

تمسكوا على الأقل بالآداب الأولية ، وكما تمنعون بطونكم من الطعام والشراب ، فامنعوا سمعكم وأبصاركم وألسنتكم مما يشينها من المعاصي . اعصموا ألسنتكم عن الغيبة وقول الزور والكذب وأنبذوا الحسد وكل رذيلة شيطانية ، وارغبوا الى الله ، وأخلصوا له العبادة ، وابتعدوا عن شياطين الانس والجن .

ولئن كنا نرى نيل مثل هذه السعادة أمراً بعيداً ، فلا أقل من السعي كي لا يشاب صومنا بحرمات حرمها الله علينا ، وبدون هذا السعي لئن كان صومنا صحيحاً الا أنـــه ليس طيباً ، ولا يصعد اليه الا العمل الطيب ، وصحة العمل شيء وقبوله شيء آخر . واذا انتهى شهر رمضان ولم يكن أي تغير في أعمالكم وتصرفاتكم ، فقد يعلم أن الصيام الذي أريد منكم لم يتحقق ، وهذا الذي كان منكم ليس الا صوماً جسمانياً يأتيه عامة الناس وقد يأتيه الحيوان . ان لم تزيدوا أنفسكم معرفة الى معرفتكم ويقيناً

الى يقينكم فلم تردوا ضيافة الله كما يراد لكم ولم تؤدوا حق هذه الضيافة

لا تنسوا أنه في شهر رمضان تفتح أبواب الرحمة وتغل مردة الشياطين ، وتفتح ابواب الجنان كما ورد في الحديث ، في هـذا الشهر اذا لم تصلحوا أنفسكم الأمارة بالسوء ولم تهذبوها ولم تراقبوها وتكبحوا جماحها ، ولم تسحقوا أهواءكم ، ولم تقطعوا علائقكم بالدنيا وأهلها فانه يصعب عليكم ذلك بعد شهر رمضان . فانتهزوا فرص الخير في هذا الشهر بكل ما يواكبها من فيض إلهي ، وزكوا انفسكم ، وأدوا صومكم بكل ما معه من آداب ومستلزمات . لانبلغ بأحدكم حاله أن يدخل عليه شهر رمضان - وقد غلت الشياطين - في حين قد اغراه الشيطان غواية يستمر فيها الى آخر الشهر . وقد يكون الانسان على اثر بعده عن الله ، واحاطة سيئاته به يعيش في ظلام وجهل ، ولا يكون اذ ذاك بحاجة إلى وسوسة الشيطان لأنه قـد انصبغ بصبغته ، وانطبع بطابعه في مقابل صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة لقوم يهتدون . اعزموا امركم على مراقبة انفسكم في هذا الشهر على الأقل ، وجنبوا انفسكم ما لا يرضاه الله لكم من قول أو فعل ، وعاهدوا ربكم وأنتم في هذا المجلس ان تبتعدوا في شهر رمضـان عن الغيبة وقول الزور والهمز واللمز ، واكبحوا جماح اللسان واليد والسمع والبصر وسائر الجوارح ، وحكموا فيها ارادتكم ،

فقد يوفقكم الله لعنايته فيلطف بكم وينظر إليكم ، ويمنع عنكم كيد الشيطان في هـذا الشهر وبعد انقضائه ، وتكونوا من عباد الله الصالحين واكرر القول بأن تعزموا أمركم في شهر رمضان على مراقبة اللسان والسمع والبصر وجميع الجوارح ، وتحاسبوا أنفسكم على كل ما تريدون أن تأتوا من عمل أو لفظ أو سماع . واذا رأيتم من يغتاب اخاً لكم فامنعوه من ذلك ، وقولوا لـه إنا آمنا بربنا وعاهدناه أن لا نأتي في هذا الشهر شيئاً مما حرم الله ، فان لم يفده ذلك فلا تقعدوا معه حتى يخوض في حديث غيره ، وقد ورد عن الصادق عليه السلام انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ألا انبئكم لم سمي المؤمن مؤمناً ؟ لايمانه الناس على أنفسهم وأموالهم . ألا انبئكم من المسلم ! المسلم من سلم الناس من يده ولسانه .

وحين تسول لكم انفسكم امراً من غيبة او بهتان او إهانة مؤمن ، اتحسبون ان لم يركم احد ؟ ألم تعلموا بأن الله يرى ؟ وانتم في ضيافة الله كيف تسيئون إلى عباده فتستثيرون غضبه ؟ واهانة عباد الله اهانة لله خاصة إذا كانوا من اهل العلم السالكين سبيل الهدى والتقوى .

قد تجد قوماً يؤمنون بالله بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم وتمادوا في غيهم واذاهم وشرورهم حتى اذا ادرك احدهم الموت ، كان

حينئذ من الذين كذبوا بآيات الله ، ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوآى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون .

واذا تراكمت المعاصي فانها تحول القلب المشرق إلى ظلام ، وتبعده عن معرفة حرمات الله ، ومعرفة مواضع طاعته ، كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون .

قال تعالى : وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون .

وعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال : تعرض الأعمال على رسول الله (ص) أعمال العباد كل صباح أبرارها وفجارها ، فاحذروها ، وهو قول الله عز وجل : وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله ، وسكت .

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال : سمعته يقول : (ما لكم تسوءون رسول الله (ص) فقال له رجل : كيف نسوؤه ؟ فقال : أما تعلمون ان اعمالكم تعرض عليه فاذا رأى فيها معصية ساءه ذلك ، فلا تسوءوا رسول الله (ص) وسروه) فلا تؤذوا رسول الله (ص) والائمة الطاهرين بأعمالكم ، وقد يخجل أئمتكم في حضرة الله وملائكته عندما تعرض صحائف أمتهم واتباعهم فيرون فيها حقدا وحسداً وبغضاً وكفراً بأنعم الله وخيانة لأماناته .

إن أي إنسان له مع انسان آخر أي رابطة - حتى لو كانت رابطة الخادم بمخدومه - يسبب خجلاً كبيراً بسبب أعماله الشائنة ، وأنتم محسوبون على الرسول العظيم والقرآن الكريم ، ومرتبطون بالرسالة ، فان عملتم سوءاً فان ذلك يسوء الرسول ويكلفه غالياً وقد يدعو عليكم ، وقد يحزن الائمة ، ويدخلهم الغم من فعلكم .

قلب الانسان كالمرآة المضيئة النقية ، ولكن كثرة الانهماك في الدنيا وكثرة المعاصي تكدره . فاذا أردتم اخلاص النية في صومكم لله - وينبغي الاخلاص له في كل حين - وأعرضتم عن الشهوات وأجتنبتم اللذات وانقطعتم عن غير الله فقد يشملكم اللطف ، ويزيل الله عن قلوبكم ماران عليها ويبعد عنها كل كدر ، ويجلي عنها كل ظلمة ، حتى اذا أزفت ليلة القدر كان نوركم يسعى بين أيديكم وبأيمانكم ، ونزلت السكينة في قلوبكم وكتب في قلوبكم الايمان كما يكتب في قلوب الأولياء من المؤمنين ، وعندها يكون الله قد أكمل لكم دينه وأتم عليكم نعمته ، وتولى هدايتكم إلى سواء السبيل لأنكم سابقتم إلى مغفرة من ربكم وجنة ، وما فرطتم في شيء مما آتاكم الرسول أو نهاكم عنه ، ورضي الله عنكم ورضيتم عنه . وقد قال الله تعالى : (الصوم لي وأنا أجزي به) فهو يجزل لكم جزاء عطاء ، ورضوان من الله أكبر .

ولكن ان أمسكتم أفواهكم عن المطعومات وأطلقتموها في غيبة الناس واتهامهم واهانتهم والاستهزاء بهم وسهرتم ليالي هذا الشهر حتى الصباح في مجالس البطالين فأنتم لم تستفيدوا شيئاً ، ولم تعودوا على أنفسكم بشيء ، بل ان هذا اخلال بآداب الضيافة وهدر لحقوق ولي النعمة الذي خلق لكم مافي السماوات والارض وأتم عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ، وأراد لكم أن تتكاملوا وبعث لكم الانبياء مبشرين ومنذرين ومنقذين ، وأنزل كتبه ليوصلكم الى معدن العظمة ومنبع النور المبهج ، ومنحكم العقل والادراك ، وكرمكم ، وفضلكم على كثير ممن خلق تفضيلا ، والآن يدعوكم لتكونوا جميعاً في ضيافته لتعملوا شكراً ولتعبدوه مخلصين لـــه الدين حنفاء .

هل يصح لأحد أن يتنعم ويستمد من أسباب العيش والراحة كل ما يريد ، ويعيش على موائد الله ثم يخالف رب النعمة وينهض لمضادته ؟ هل يصح لاحد أن يستعمل ما منحـــه الله من نعم في مخالفة حكم الله ؟ أليس هذا كفراً بانعم الله ؟ أليس تضييعاً لحق المنعم ؟ ألم يكن ذلك اهانة لصاحب المائدة ؟ أليس ذلك استعمالاً لجوارح غذيت بنعمة الله في التعرض لسخطه بمعصيته ؟

على الضيف في أقل تقدير أن يعرف صاحبه ، ويعرف له

حقه ، ويلتزم بكل أدب بالنسبة اليه ، ويراعي آداب المجلس وآداب الضيافة ، وألا يعمل عملا مخالفاً لما يليق به .

ان ضيوف الله لابد أن يعرفوه ويعرفوا مقام ذي الجلال ، ذلك المقام الذي سعى الأنبياء والأئمة عليهم السلام دائماً للتزود من نمير معرفته ، وكانوا يتمنون على الله عزوجل أن ينير أبصارهم بضياء نظرها إليه حتى تخرق أبصار القلوب حجب النور فتصل إلى معدن العظمة . ضيافة الله معدن العظمة ، والله قد دعا عباده لأرتياد معدن النور والعظمة ، ولكن العبد يحرم من ذلك المقام اذا فقد اللياقة له .

الله يدعو عباده الى جميع الخيرات والبركات واللذات الروحية ، ولكن اذا لم يكونوا على استعداد وقابلية لذلك فلا يستطيعون الورود إلى المنهل العذب . الشوائب والرذائل والمعاصي النفسية والجسمية لا تسمح بالحضور في محضر الربوبية ، وفي محضر الضيافة الالهية لأن هذه الضيافة تحتاج إلى اهلية ، ومع تراكم الظلمة والأدران لا تجد النفس المظلمة سبيلا إلى الحقائق الروحية . لابد من خرق هذه الحجب المانعة من الوصول إلى الله ، وبذلك يمكن الورود إلى محضر النور الالهي العظيم .

حجب النور والظلمة

ما كان للمؤمنين أن يرغبوا بأنفسهم عن الله ، ومن يفعل ذلك فقد حجب نفسه في ظلمات اذا أخرج يده فيها لم يكد يراها ، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور . فارغبوا إلى ربكم حتى لا يكون من بينكم وبينه حجاب ، ولا تستحبوا العمى على الهدى ، ولا تستحبوا الدنيا على الآخرة ، وآمنوا به (حتى تخرق أبصار القلوب حجب النور فتصل إلى معدن العظمة) .

ولكن الذي أخلد إلى الأرض واتبع هواه وآثر الحياة الدنيا وترك الآخرة ، فقد نكص على عقبيه ، ورد إلى اسفل سافلين ، ولم يكن - بسبب سوء تصرفه - من أهل قوله تعالى : (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين) وانما نسي الآخرة ولم يسع لها سعيها ، واتخذ الهه هواه ، وران على قلبه ما كان يعمل ، فكان مثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ، وقد أعماه ما اقترفت يداه ، وأحب العاجلة ونسي الآخرة ، ومن كان في هذه اعمى فهو في

الآخرة اعمى واضل سبيلاً . وقد ينتهي به أمره الى انكار الحساب والكتـــاب والجنة والنار ، وهو في ذلك كله لن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين .

بعد العلم ايمان

قد تجد قوماً يعلمون ولكن لا يؤمنون مغسل الموتى لا يخشى الموتى لأنه آمن بعد ما علم أن ليس للميت حول ولا طول ، ولكن الذين يخشون الميت قد علموا بموته ، ولم يؤمنوا بحقيقة أنه لا يقدر على شيء : وقد يعلم أحد بالله والمعاد ولكنه لم يستيقن ، فقلبه لم يؤمن بما أدركه عقله ببرهان . وقد يكون النور لشدة ظهوره حاجباً ، إلا أن يكون وليه الله وهو يتولى الصالحين ويخرجهم من الظلمات إلى النور .

فترى الذي علم بالله وآمن بكلماته وصدق رسله ودخل الايمان قلبه يتحرج ، فلا يجرم ولا يفتري ولا يغتاب ولا يقول الزور ، ولا يحسد أخاه ، ولا يتخذه عدواً ، ولا يميل إلى الدنيا ، ولا ينال سخط الخالق برضا المخلوق ، وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام : والله لو أعطيت الاقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعير ما فعلت) . ولكن بعضهم يجعل تحت قدميه كل شيء ، يغتاب رجال الاسلام ، ويهينهم ويعتدي عليهم ويقول عنهم قولا زوراً ، فهو لم يرسخ الايمان في قلبه ولم يؤمن بالجزاء . وليست العصمة الا الايمان الكامل وليست

العصمة أن يكون من تلبس بها مغلول اليدين بل العصمة وليدة الايمان بالله ، ومن كان يرى الله بعين بصيرته كما يرى الشمس ببصره فلا يعقل أن يرتكب اثماً أو يقول إفكاً وزوراً ، لأنه يخشى الله أن يعصيه ، وخوفه هذا يعصمه من الوقوع في الذنب

الأئمة المعصومون عليهم السلام بعد أن خلقوا من طينة طيبة طاهرة ، حملوا أنفسهم على الطاعة ، وكسبوا في حياتهم نوراً ، وتخلقوا بأفضل الملكات ، وعرفوا أنهم في حضرة الله ، وفي عين الله ما يلقون ، وأذعنوا بأن كل شيء هالك الا وجهه .

فان علم الانسان علم اليقين أن الله على كل شيء شهيد وأنه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء وأنه يسمع ويرى ، وما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا ، اذا كان الانسان قد علم ذلك يقيناً فلا يعقل أن يأتي ذنباً أو يقترف سيئة ألا ترى الانسان يواري سوأتـــه عن الطفل المميز ، ولا يفعل مايشينه بمسمع من الطفل ومرأى ؟ فكيف يجترىء أن يجهر بالسوء والله من فوقه يسمع ويرى ؟ فان اجترأ فما ذلك الا لأن ايمانه بوجود الله أقل وأضعف من ايمانه بوجود الطفل المميز ، وقد ران على قلبه ماكان يكسبه فاحاطت به ظلمة صدته عن فهم هذه الحقائق

وعن احتمالها فضلاً عن التصديق بها :

اذا آمن الانسان بما أخبر به القرآن من وعد ووعيد لأعاد النظر في أفعاله وأعماله ، وكبح جماح نفسه ، ووقفها عند حدها .

أنت ان كنت تحتمل في طريقك وجود سبع ضار قد يفتك بك أو احتملت أن أحداً من قطاع الطرق قد يعرض لك في طريقك ببعض السوء فأنت تمتنع عن سلوك ذلك الطريق الا بعد التأكد من سلامته ، فهل يحتمل أن يصدق او يحتمل انسان وجود النار والعذاب ويرتكب اثماً او يأتي فاحشـــة ؟ هل يعقل أن يعرف الانسان ربه شاهداً وحاكماً ومحاسباً ومعاقباً ومجازياً ، ثم يقول كل قول ، ويعمل كل عمل وهو يعلم أنه ما يعمل من شيء وما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد .

من هنا نعرف ضعف ايمان بعضهم أو تكذيبهم وعدم تصديقهم بوجود عالم آخر ، وحتى عدم احتمالهم له ، لاننا عرفنا أن مجرد احتمال ذلك كله يمنع الانسان ويصده عن كثير من قول أو فعل

اليقظة : خطوة أولى في السلوك

الى متى يتملككم سبات الغفلة ؟ إلى متى تأخذكم العزة بالاثم ؟ ألا فاخشوا ربكم ، واتقوا عواقب الأمور واستيقظو من نومكم أيها الغافلون ! أنتم لم تخطوا خطوة واحدة في الطريق ، لأن أول خطوة تمثلها اليقظة ولكنكم نائمون ، أبصاركم شاخصة وقلوبكم أثقلها النوم يحسبكم الرائي أيقاظاً وانتم رقود

هذا النوم ، وصدأ القلوب ، كل ذلك جعلكم آمنين مطمئنين وانتم تقدمون ما تقدمون بين يديكم من اعمال واقوال فلئن كنتم تذكرون الآخرة وتضعون عقبانها المهولة نصب اعينكم لأعطيتم إهتماماً أكثر بما كلفتم به وحملتم مسؤوليته . ان لكم عالماً آخر ! وان لكم معاداً ومآباً شأن سائر المخلوقات ، فلماذا لا تعتبرون ؟ ولماذا لا تفيقون ولماذا لاتنتبهون ؟ لماذا بكل بساطة وسهولة تقترفون الغيبة وقول السوء والوقيعة في اخوتكم من المسلمين وتسمعون السوء فيهم ؟ الا تعلمون ان اللسان الذي يحرك في اغتياب الآخرين يداس يوم القيامة بأقدام الآخرين ؟ الا تعلمون ان الغيبة ادام كلاب النار ؟

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : كذب من زعم أنه ولد من حلال وهو يأكل لحوم الناس بالغيبة فانها ادام كلاب النار ؟ هل فكرتم في هذا الاختلاف وهذه العداوة وهذا الحسد وسوء الظن والغرور والاعجاب والكبر !!! أما تعلمون أن هذه الأعمال مرذولة ومحرمة وذات عواقب وخيمة ، عاقبتها نار جهنم وربما يضاف اليها كلمة خالدين فيها . نعوذ بالله من أمراض غير مؤلمة فان الأمراض المؤلمة تحمل الانسان على مراجعة الطبيب والمصحات ، واستعمال الدواء ، وأما هذه الأمراض التي لا ألم فيها فقد لا يشعر الانسان بتلوثه بها - مع خطورتها وبشاعتها - الا بعد فوات الأوان .

أمراض النفس ان كانت مؤلمة فلله الحمد والشكر على ذلك لأن الألم يحمل الانسان على التداوي ، ولكن ماذا نفعل وهذه الامراض الخطيرة لا تؤلمنا عاجلا . مرض العجب والغرور لا ألم فيها و كذلك المعاصي الاخرى ، ولكنها تصوغ قلباً فاسداً . وبالاضافة الى أنها لاتورث ألماً فهي قد تعطي لذة ونشوة ، فمجالس اللهو والغيبة مجالس محببة وذات بهجة ، وحب النفس وحب الدنيا حبان لذيذان ، ومن يطلب الماء يجد فيه لذة حتى آخر جرعة منه . وطبيعي أن من يلتذ من مرض ولا يرى فيه ألماً فانه لا يفكر في علاجه مهما وعظه الواعظون وحذره المحذرون . قال أمير المؤمنين

عليه السلام : أيها الناس اياكم وحب الدنيا فانها رأس كل خطيئة وباب كل بلية وقران كل فتنة وداعي كل رزية .

واذا ابتلي الانسان بمرض عبادة الدنيا واتباع الهوى ، وأخذ على قلبه هذا الحب كل جوانبه ، فهو قد يتألم - والعياذ بالله - من الله وعباده وأنبيائه ورسله وأوليائه وملائكته وقد ينصب لهم العداوة والبغضاء ، وقد يحقد عليهم ، وحينما يتوفاه ملائكة الله الموكلون بقبض روحه فانه يشعر بصعوبة وضيق ، لأنه يرى أن الله وملائكته يريدون ابعاده عن أحب الأشياء لديه (الدنيا والأمور الدنيوية) وقد يفارق الدنيا وهو كاره للقاء الله .

ينقل أحد وجهاء قزوين مشهد احتضار أحدهم فيقول : في اللحظات الأخيرة من حياته فتح عينه وبسط لسانه قائلا : ظلمني الله ظلماً لم يظلمني بمثله أحد ، فقد جهدت في تربية أطفالي بمرارة بالغة ، وهو يريد الآن أن يبعدني عنهم !!! هل بعد هذا ظلم؟!!

فاذا لم ينزع الانسان عن قلبه حب الدنيا وتوابعها فقد يكون عند الموت مليئاً بغضاً وعداوة لله وأوليائه فيموت وهو للدنيا محب ولله وللقائه كاره .

اذا تدنى البشر مثل هذا التدني فهل يكون هو أشرف المخلوقات أم أخسها وأتعسها وأشقاها .

بسم الله الرحمان الرحيم والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر : ألست ترى الله يمتدح التواصي بالحق والصبر لأن ذلك من أعمال القلوب ، ولا يمتدح التواصي بالاعمال القائمة بالبصر لانها لاتحتاج الى تواص .

واذا غلبكم حب الدنيا وحب النفس ، ومنعكم ذلك الحب عن فهم الحقائق ، فأخلصوا أعمالكم لله وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر حتى لا تخسروا الدنيا والآخرة . وهأنتم اولاء قد انفقتم شبابكم مع الحرمان الدنيوي فلا تفوتنكم الآخرة ومزاياها ودرجاتها فمن ضل طريقه الى الجنة فقد حرم من رحمة الله ، وله جهنم خالداً فيها ، أما الذين نالوا حظاً يسيراً أو غير يسير من دنيا عاجلة فقد يكون لهم من ذلك سلوة وعزاء ، ولكن أنتم ماذا أخذتم من دنياكم . . . ؟ لاشيء !! فلا تكونوا من الأخسرين أعمالا ، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيـــا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً . أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيـــامة وزناً . ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزواً .

احذروا أن يتخطف الشيطان قلوبكم ويخطف أبصاركم بكل

أساليبه ووسائله ، وأنتم لم يضمن لكم استمرار ما أنتم عليه الآن من الهدى والايمان ، وإنما جعل الايمان وديعة عندكم ، وقد ابتليتم بحفظها ورعايتها بحقها ، وقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام : فمن الايمان ما يكون مستقراً في القلوب ، ومنه ما يكون عوارى بين القلوب والصدور إلى أجل معلوم .

وقد يخرجكم الشيطان من الدنيا وقد ملأ نفوسكم عداوة لله ورسله وملائكته ، وما كان له عليكم من سلطان ، انما سلطانه على الذين يتولونه ، وقد قضيتم عمراً من قبل ذلك غمرتكم فيه نعم الله وآلاؤه واكلتم من فوق رؤوسكم ومن تحت أرجلكم ، ووسعتكم موائد صاحب الزمان عليه السلام .

ابذلوا وسعكم في تقطيع علائقكم بالدنيا ، واتركوا حبها . فهذه الدنيا بكل زخارفها ليست شيئاً له أهلية الحب ، فكيف تحبونها وليس لكم فيها إلا نصيب كبير من الحرمان ؟ ماذا تملكون من الدنيا حتى يمكن أن تتعلقوا به ؟ انتم وهذا المسجد والمحراب والمدرسة وزاوية البيت . هل يكون لكم أن تتنازعوا وتتعادوا على هذه الأمور فتفسدوا الناس من ورائكم ، ولئن كانت لكم ـ شأن أهل الدنيا ـ حياة مرفهة ، ويأتيكم رزقكم رغداً من كل مكان ، وتقضون أياماً طويلة كما لو كنتم في حلم لذيذ ولكنكم ستجدون مسؤوليات

وعقوبات ثقيلة بعد ذلك آخذة منكم بالخناق ، فحياتكم قد تمضي لذيذة راضية هانئة ومن ورائها عذاب غليظ ، وما خير بخير وراءه النار . ماذا أعددتم لهذه العقبات الكأداء ؟ هل أخذتم سبيل النجاة ؟ متى تأخذون أنفسكم بالاصلاح والتهذيب ؟ هل تتخيلون أن الدنيا اذا استوسقت لكم واتسقت لكم الأمور انكم قد ملكتم الدنيا ؟ إن احدكم حين يأخذ من دنياه ما يريد فهو ينظر إليها من زاويته الخاصة وبمنظاره الخاص ويرى أن الدنيا لم تكن إلا ما ادرك واصاب وهو غافل عن هذا العالم وما فيه من الأمور ، وهذه الدنيا بكل ما رحبت قد ورد فيها أن الله لم ينظر إليها نظر رحمة ، فلابد أن تكون رحمة الله الواسعة منصبة على عالم آخر ينبغي لنا أن ننظر في حقيقته !! أى شيء معدن العظمة هذا الذي أشير إليه في الدعاء ؟ هذا البشر أصغر من أن يفهم مثل هذا !

انتم ان اخلصتم النية ، وأصلحتم العمل ، ونزعتم كل غل وحب جاه وحب نفس من قلوبكم أدركتم الدرجات الرفيعة والمقام المحمود ، كما ادرك ذلك عباد الله الصالحون ، واصبحت الدنيا وما فيها لا تساوى في اعينكم جناح بعوضة ، فاعملوا على تزكية نفوسكم وترقيتها ، واعبدوا الله مخلصين له الدين لا من أجل نيل شيء ، إلا لأنه أهل للعبادة ، اسجدوا له . عفروا وجوهكم بالتراب

خضوعاً له وخشوعاً ، وحينذاك تمزقون حجب النور فتدركون معدن العظمة ، ولكن هل ستبلغون ذلك كله بما أنتم عليه من القول والفعل والرأي ، هل ستنجون من العقوبة والعذاب الأليم بكل سهولة ويسر ؟ هل تظنون أن بكاء الأئمة الطاهرين ونحيبهم وأنين السجاد عليه السلام ورنينه كان لتعليم الآخرين وتدريبهم فقط ؟ أولئك بكل مانالوه من عظمة ومقام شامخ كانوا يخافون الله ولايخشون أحداً سواه وكانوا يبكون من خشيته وخيفته وهم يعلمون صعوبة الطريق ووعورته وبعده ووحشته ، وقد علموا ما يواجه الانسان من عقبات ومشكلات حين يريد اجتياز الصراط الذي أحد طرفيه يبدأ من هذه الحياة ، وينتهي طرفه الآخر بالحياة الآخرة ممتداً عبر جهنم . كانوا على علم بعوالم القبر والبرزخ والمحشر ، وكانوا يعوذون بالله من كل ذلك الهول ، ومن الغربة والوحشة في ذلك اليوم . وأنتم فخذوا أنفسكم بالاستقامة والهدى ، وألجموا نفوسكم وقاوموها قبل أن يدركم الوهن والضعف ، وقبل أن يفارقكم العزم وقبل أن تفقدوا القدرة على المقاومة والارادة الحازمة . لاتفوتكم أنفسكم فادركوها قبل أن تسود قلوبكم وتثقلكم أوزاركم ألم تعلموا أن كل نفس وكل خطوة وكل لحظة انما هي خطوات حثيثة الى آجالكم ؟ وكلما اقترب الأجل صعب الحل وتراكمت

الظلمات . وكلما طعن الانسان في السن قلت راحته وكثرت شقوته وأتعابه وضعفت قواه ووهنت ارادته ؛ ولا ينفعكم عندها أن تستغفروا ربكم وتتوبوا اليه بأفواهكم ، وليست التوبة كلمة يرددها اللسان انما هي ندم على مافات وعزم على الترك والتدارك فيما هو آت .

أنتم الشباب انتهزوا شبابكم قبل هرمكم ، ومادامت القوة تملأ جوانحكم ، وفتوتكم وصلابتكم تحيط بكم فلا يغلبنكم هواكم ولا تأخذنكم الرغبات والشهوات كل مأخذ . ابدأوا من الآن فانكم إن ادرككم الهرم فلن تجدوا الى اصلاح نفوسكم سبيلا ، فكروا منذ الآن وقبل أن يهن العظم منكم ويشتعل الرأس شيباً

قلب الشاب مليء باللطف والملكوت ، وعوامل الفساد تكون فيه ضعيفة ، وكلما تقدمت السن أثقل الذنب على القلب حتى يملأ عليه جوانبه وتتعمق فيه الجذور ، حتى لايعود ممكناً اجتثاث الفساد من القواعد وقد روى زرارة كما في الوسائل ج١١ ص٢٣٩ عن أبي جعفر عليه السلام ، قال : ما من عبد الا وفي قلبه نكتة بيضاء فاذا أذنب ذنباً خرج في النكتة نكتة سوداء فان تاب ذهب ذلك السواد ، وان تمادى في الذنوب زاد ذلك السواد حتى يغطي البياض فاذا غطي البياض لم يرجع صاحبه الى خير أبداً وهو قول الله عزوجل : بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون .

كيف تذهبون الى ربكم بقلوب صدئة ، ولم تعصموا سمعكم وأبصاركم عما حرم الله ؟ كيف ستحفظون أمانة الله لديكم ، وكيف سترودنها اليه يوم الورود ؟ ألم يأتمنكم على سمعكم وأبصاركم وأيديكم وألسنتكم وكل جوارحكم وجوانحكم ، واختبركم بها ليبلوكم أيكم أحسن عملا ، فلماذا تخونون أماناتكم بما عملت أيديكم ، وسوف تسألون عن ذلك ، والله سائلكم عن القلب الذي ملأتموه بالظلمات بعد أن أعطيتم العهد وشهدتم على أنفسكم بالعبودية لله يوم أخذ عليكم الميثاق !! لماذا آثرتم الظلمات وقد فتح ربكم عليكم أبواب النور ؟ وهو سائلكم عن السمع والبصر واليد وسائر الجوارح كيف عهدت بها اليكم وكيف خلفتموني فيها وكيف رددتموها علي ؟ فهل اعددتم لربكم جواباً ؟ وهل يؤذن لكم فتعتذون ؟ فكيف اذاً ترجون لقاء ربكم ولم تعملوا عملا صالحاً ولم تتخذوا الى ربكم مآباً ؟ ! !

انتم فتية آمنتم بربكم فان عالجتم انفسكم وحملتموها على ما يريد الله لكم ، وصرفتموها عما حرم الله عليكم وكرهه لكم آتاكم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وعند الله مغانم كثيرة ولكن ان أخلدتم الى الأرض واتبعتم أهواءكم وبقيتم على ما أنتم عليه ، فقد أتلفتم زهرة شبابكم ولباب عمركم ، أفحسبتم انما

خلقتم عبثاً وأنكم اليه لاترجعون ولكنكم سوف تسألون وتحاسبون ويومئذ يلبس المجرمون ، ويومئذ يعض الظالم على يديه ، ومن قبل ذلك سيصيبكم الله في الدنيا بصعوبات ومصائب ومشكلات لا تجدون الى الخروج منها سبيلا .

استيقظوا

فمستقبلكم مظلم ، واعداؤكم لكم بالمرصاد ، يتربصون بكم الدوائر ، ويحيطون بكم من كل جانب ، قد أخذوا عليكم أقطار الأرض وآفاق السماء ، ولديهم خطط جهنمية خطيرة لتصفيتكم ، وتصفية كل المجامع العلمية . وتصفية كل ما له صلة بالدين تحت غطاء مكافحة الرجعية .

الاستعمار يحلم بأحلام عميقة في الاسلام والمسلمين ، وبالتظاهر بالاسلام في بعض الحالات يريدون أن يكيدوا له كيداً .

وأنتم في ظل الاستقامة وتهذيب السلوك ، والتأهب والتنظيم الصحيح والسيرة الحسنة ، تستطيعون ازاحـــة كل ما يضعونه في طريقكم ، وافساد كل خطط الاستعمار وإفشالها .

هأنذا اقضي اخريات ايام عمري ، وسوف افارقكم ان عاجلاً أو آجلا ، ولكني أتوقع لكم مستقبلا مظلماً ، وأياماً سوداء ، ان لم تأخذوا أنفسكم بالاصلاح والتنظيم والانضباط في مناهجكم الدراسية والحياتية ، فان ابيتم ذلك كله فأنتم محكومون بالفناء والبوار .

قبل فوات الأوان ، وقبـــل أن تمتد يد الاستعمار إلى جميع

شؤونكم الدينية والعلمية ـ فكروا واستيقظوا وانهضوا ، واعملوا أولاً على تزكية نفوسكم واصلاحها ، ثم نظموا أنفسكم وانهجوا لها مناهج ، واشيعوا النظام في أوساطكم العلمية . لا تدعوا الآخرين يأتون فينظموا حوزاتكم بحجة عدم لياقتكم وعدم قابليتكم ، وبحجة انكم جماعة من البطالين الكسالى ، وحينذاك يضعون ايديهم على مصائركم وتحت اسم التنظيم والاصلاح يفسدون مجامعكم ويخضعونكم لنفوذهم وسلطانهم . لا تجعلوا لهم عليكم حجة ، فلئن كنتم مهذبين ومنتظمين في صفوف متراصة ، وكانت كل جوانب حياتكم تخضع للنظام والمنهجية ، فسوف لا يطمعون فيكم ولا يكون لهم عليكم من سبيل ، ولا يكون لهم طريق يسلكونه إلى صفوفكم ومجامعكم فجهزوا انفسكم وهذبوها وتهيأوا لصد تلك المفاسد التي ستستقبلكم ، وأعدوا مجامعكم لمقاومة كل طارىء .

أنتم ـ لا سمح الله ـ تنتظركم أيام نحسة مليئة بالسوء ، وأيادي الاستعمار تريد تدميركم ، وتريد إفناء كل كيان للاسلام ، وعليكم أن تثبتوا ، ولكن لتعلموا أنه لاثبات ولا قوة ولا حزم مع حب النفس وحب الجاه والكبر والغرور فالعالم الذي أخلد إلى الأرض وقد يتبع هواه فيفكر في الزعامة والشهرة والعظمة ، لا يستطيع أن يقاوم أعداء الاسلام ، وقد يكون ضرره اكثر واشد من ضرر غيره .

اجعلوا كل عملكم وكل خطواتكم لله ، وطهروا قلوبكم من حب الدنيا ، وحينذاك تقدرون على المقاومة . فكروا دائماً وانشئوا أنفسكم وربوها على هذه الفكرة فكرة أنه (لابد أن أكون جندياً مسلماً مصلحاً ، أفدي الاسلام بنفسي ، وأعمل للاسلام حتى أفارق الحياة) لا تتخاذلوا ولا تتوانوا ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين . لابد أن تبذلوا أقصى الجهد حتى ينتفع الاسلام بكم ، وحتى تدركوا معاني الانسانية ويتجلى فيكم مفهوم الانسان .

الاستعمار يخشاكم لأنه يخشى الآدميين والاستعمار الذي يريد أن يذهب بكل ما نملك ادراج الرياح لا يدعنا نصنع أو نكون أو نربي في جامعاتنا الدينية العلمية ذلك الانسان ، لأنهم يخشون الانسان ، فان وجد في بعض أنحاء البلاد انســان فهو يشكل عليهم خطراً كبيراً ويهدد مصالحهم ويعرضها للخطر ، ولذلك فهم يحسبون للانسان ألف حساب .

أنتم قــد كلفتم أن تصوغوا انفسكم ، وتمثلوا في انفسكم الانسان الكامل ، وان تثبتوا وتعزموا امركم في مقابل مخططات أعداء الاسلام . فان لم تنظموا انفسكم ولم تهيئوها ، ولم تقاوموا ولم تجاهدوا ولم تحاولوا رد الضربات التي يكيلها الأعداء كل يوم للاسلام فانكم ستبادون ، وتنهدم بذلك أحكام الاسلام وقوانينه

وانتم مسؤولون عن ذلك .

انتم العلماء ، انتم اهـل العلم وحملته وانتم المسلمون جميعاً مسؤولون (كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته) انتم الشباب عليكم أن تقووا ارادتكم حتى تكافحوا الظلم والعدوان ، ولا سبيل لكم سوى ذلك ، فوجودكم وجود الاسلام ، وكل بلاد المسلمين لا تحتفظ بكرامتها وشخصيتها إلا بمثل هـذه المواقف الحميدة ، وبمثل ذلك الثبات والتأهب والاستعداد .

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يحفظ الاسلام ، ويرعى المسلمين وبلادهم ويمنع عنهم شر الأعداء وان يقطع ايدى الخونة ، وايدى المستعمرين قبل امتدادها إلى الاسلام ومجامع الاسلام العلمية ، وأن يوفق الله ويؤيد علماء الاسلام ومراجع الدين العظام للدفاع عن قوانين الاسلام المقدسة ، وعن القرآن الكريم وسيادة شرايع الاسلام .

وأسأله جل شأنه أن يبصر أهل العلم بواجباتهم ومسؤولياتهم الخطيرة في العصر الحاضر وأن يكلأ بعين رعايته المجامع العلمية ومراكز الروحانية ويقطع عنها نفوذ أعداء الاسـلام ، ويسد عليهم كل سبيل وأبتهل إليه أن يوفق جيل الشباب منكم ومن الجامعيين وجميع المسلمين لصياغة النفس صياغة اسلامية تبدو فيها كل مظاهر الاستقامة والتزكية وحسن السيرة وأرغب اليه أن يزيح عن الأمة الاسلامية

نومة الغفلة وأن يبعد عن الأمة كل ميوعة وكل جمود وضعف في الفكر ، حتى ينهضوا بفضل تعاليم القرآن المشرقة المتقدمة من أجل أن تقطع مسيرة الحياة تحت ظل الوحدة الاسلامية والتعاون على البر والتقوي .

كما أرغب إليه في أمة كريمة يعز فيها الاسلام وأهله ويذل بها النفاق وأهله ونكون فيها من الدعاة إلى طاعته والقادة إلى سبيله ، ونرزق فيها كرامة الدنيا والآخرة وأسأله - تعالى - أن يقطع دابر الكافرين ، ويمنع أيديهم أن تمتد بسوء إلى بلاد المسلمين حتى ينال المسلمون ويستعيدوا استقلالهم وسابق مجدهم وعزتهم وعظمتهم ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين .

ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ربنا وتقبل دعاء

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٢٢٢ لسنة ١٩٧٤
٣٠٠٠ - ٦ / ٤ / ١٩٧٤
مطبعة الآداب - النجف الأشرف